دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	القائد السياسي وصناعة الأزمة في السياسة الخارجية (حالة الرئيس العراقي صدام حسين في حرب الخليج الثانية)
المصدر:	مجلة الديمقراطية
الناشر:	مؤسسة الأهرام
المؤلف الرئيسي:	عاشور، عزمي محمود
المجلد/العدد:	مج 9, ع 34
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	أبريل
الصفحات:	141 - 148
رقم MD:	344601
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink, HumanIndex
مواضيع:	الاحتلال العراقي للكويت، القيادة السياسية، الأزمات السياسية، السياسة الخارجية، حرب الخليج الثانية، صدام حسين ، رئيس العراق، السمات الشخصية، نظم الحكم، الدبلوماسية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/344601

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

2

القائد السياسي وصناعة الأزمة في السياسة الخارجية

(حالة الرئيس العراقي صدام حسين في حرب الخليج الثانية)

عزمي عاشور

مدير التحرير التنفيذي لمجلة الديمقراطية

ترتبط صناعة الأزمة في السياسة الدولية بعوامل كثيرة منها الأسباب الموضوعية كالصراع على الثروات أو سباق التسلح أو النزاع على أقاليم معينة أو الأسباب الاقتصادية كمسائل التجارة وغيرها فيما بين الدول وكلها تبدو أنها أسباب توجد آليات مختلفة للتفاوض بشأنها، ومن ثم فكثير من هذه القضايا لا تصل إلى الأزمة، ولكن الخطورة تكمن عندما تتحول كثير من هذه الأسباب إلى سو تفسير وإدراك من القائد السياسي والذي يؤدى بدوره إلى اتخاذ تدابير من شأنها أن تصنع أزمة تتعدى تداعياتها المستوى الإقليمي إلى الدولي، كأن يأمر قواته بأن تقوم بالاعتداء على أراضي الدولة المتنازع عليها أو غيرها من التدابير الأخرى.. مثلما حدث في غزو العراق للكويت في عام 1990. وعلى الرغم من أنه كانت هناك مبررات اقتصادية وسياسية لعملية الغزو إلا أن قرار الغزو نفسه، ومن وقف وراءه بات أمرا مثيرا للكثير من التساؤل والاستفهام حول طبيعة شخصية صانع هذا القرار، فمهما تكن الخلافات والأسباب بين دولتين جارتين، لا يوجد منطق في أن تبتلع دولة جارتها في بضع ساعات ويقتل من يقتل ويشرد من يشرد دون أدنى اعتبار للقواعد المتعارف عليها التي تحكم سلوك الدول في علاقاتها فيما بينها. وعلى الرغم من مرور تسعة عشر عاما على هذا الحدث الزلزال ألا أن توابعه لم تغب عن المنطقة العربية لحظة، فالتواجد الأجنبي في دول الخليج فاق الوصف للدفاع عنها، وهذا هو العراق نفسه غابت فيه الدولة وبات هو المحتل من قبل الولايات المتحدة بعدما كان أثناء غزوه للكويت قوة عسكرية كبيرة في المنطقة.

وبات النظام العربي أو بمعنى أصح الدول العربية إزاء هذه البيئة الجديدة، فاقدة المعنى والهدف والهوية وغاب تأثير وفاعلية دولها وبالأخص الرئيسية في اتخاذ أي رد فعل تجاه ما يحدث داخل نطاق دولها أو إقليمها العربي، وباتت شهرة الدول الصغرى تفوق الكبرى لبهاتة المعايير وحالة الضعف التي انتابت الدول العربية في مجملها وعجزها على أن تجد حلا لمشكلاتها في إطار منظوماتها الإقليمية سواء عندما تم غزو العراق للكويت أو حتى قبيل الغزو الأمريكي للعراق في عام 2003.

وعلى خلفية هذه التداعيات المستمرة لهذا الحدث كان اختيار الباحث دراسة المحددات الشخصية للقيادة السياسية وصنع القرار في السياسة الخارجية، وكان التطبيق على حالة العراق والرئيس صدام حسين، ومن ثم فالباحث يحاول هنا أن يظهر كيف أن المحددات الشخصية هي التي كانت المتحكمة في صناعة القرار في غزو العراق للكويت في عام 1990، ولم يكن هناك تقدير واعتبار للمحددات الموضوعية، حيث لو أن هذا العامل الأخير كان موضع اعتبار من قبل القائد السياسي (صدام حسين) لأصبح الوضع الوضع مختلفا ليس للعراق وإنما للمنطقة ككل.

ويقصد بالدوافع الذاتية مجموعة العوامل المرتبطة بالحاجات الأساسية (المادية والمعنوية) للإنسان، والتي تدفع الفرد إلى التصرف بشكل معين، كالدافع نحو القوة، والحاجة إلى الانتماء، والحاجة إلى الإنجاز، واحترام الذات، والنزعة نحو السيطرة أو الخضوع وغيرها. أما الخصائص الشخصية فإنها تنصرف إلى الخصائص المرتبطة بالتكوين المعرفة والعاطفي والسلوكي للإنسان، كأن يكون الفرد ذا شخصية تسلطية، أو يكون ميالا إلى الانفتاح على الأفكار الأخرى. وقد سبق أن أكد العديد من الفلاسفة السياسيين، أمثال سان أوجستين، وسبينوزا، ونايير، أن الدوافع الذاتية العدوانية والأنانية لدى البشر، بمن فيهم القادة السياسيون هي إحدى المحركات الرئيسية للحروب بين الدول. ويعتبر هارولد لاسكويل أشهر من حلل أثر الدوافع الذاتية

على السلوك السياسي. فقد أوضح أن الدافع الرئيسي للنشاط السياسي للفرد هو الإحساس بعدم الأمان العاطفي وافتقاد احترام الذات. فالفرد يحاول تغطية هذا النقص عن طريق السعي نحو القوة (1). وبناء على ذلك، ينظر الاقتراب النفسي إلى السياسة الخارجية على أنه تعبير عن انطباعات أو نزوات أو مزاج قائد أو زعيم. وطبقا لوجهة النظر هذه، فإن ملوك الدول ورؤساءها هم وحدهم مصدر السياسة الخارجية. ومن ثم فإن مسائل الحرب والسلام على سبيل المثال في مفهوم هذا الاقتراب تصبح مسائل رؤى ذاتية واختيارات فردية. والسياسة الخارجية من هذا المنطلق لا ينظر إليها على أنها نشاط أعد لتحقيق أهداف قومية أو مجتمعية، بل ينظر إليها كما أورد أدوار شيلر 1962 على أنها مجرد علاقات عامة تهدف إلى تحسين صورة الدولة، وتدعيم شعبية قائدها، وصرف الأنظار عن المشاكل الداخلية التي تعاني منها نحو انتصارات خارجية مطلقة (2). وقد ساعدت ظروف البناء المؤسسي السياسي والاجتماعي في المجتمعات العربية على سيادة هذه النوعية من القيادة، حيث هذا البناء يصب في تمركز صنع القرار في شخص الرئيس، والذي بناء على المحددات الشخصية تشكل المخرجات، حيث ليس كل المحددات الشخصية سلبية بقدر أن الخطورة تكمن عندما تكون المحددات الشخصية أحد الأسباب الأساسية في صناعة أزمة للسياسة الخارجية لبلادها وفقا للقدرات والإمكانيات التي تتمتع بها كل دولة. ويمثل النموذج العراقي حالة مثالية لهذه النوعية، حيث لم تكن هناك أزمات اقتصادية، وكانت هناك بدائل متعددة للخروج من أزمات في سياسة العراق مع الجيران وغيرها من دول العالم المعنية. ولكن عملية الإدراك والتصورات الشخصية لدى الرئيس والذي يجسد مركزية صنع القرار أدت إلى صناعة أزمات وكوارث في السياسة الدولية على المستوى الإقليمي والمستوى الدولي، ثم للدولة العراقية وجيرانها بعد ذلك نتيجة هذا العامل الشخصي.

أولا- البناء السياسي وصنع السياسة الخارجية العراقية:

كان يعد مجلس قيادة الثورة طبقا للدستور العراقي الصادر في عام.1970 والتعديلات التي أدخلت عليه في عام 1973 بمثابة قمة الجهاز السياسي في الدولة وأعلى سلطة تشريعية في البلاد حيث كان يقوم المجلس بانتخاب أحد أعضائه بأغلبية الثلثين ليكون رئيسا للمجلس ورئيسا للجمهورية في ذات الوقت وآخر ليكون نائبا له. وينظر المجلس في كافة السياسات الداخلية والخارجية وله حق عزل أعضائه أو إضافة أعضاء جدد إليه بحد أقصى اثنا عشر عضوا. وعلى الرغم من مسئولية الرئيس من الناحية النظرية أمام المجلس إلا ان الدستور لم يشر إلى مدة رئاسته أو إجراءات عزله باستثناء الإقالة (3).

وبالنسبة لصنع السياسة الخارجية وطبقا للدستور العراقي كان يشرف مجلس قيادة الثورة على كل شئون السياسة الخارجية من إعلان التعبئة العامة واتخاذ قرارات الحرب وقبول الهدنة وتوقيع اتفاقيات السلام (المادة 43 - فقرة ب)، والتصديق على المعاهدات والاتفاقيات الدولية وحماية استقلال البلاد وتكاملها الإقليمي (المادة58 - فقرة أ، المادة 58 فقرة). وعلى الرغم من أن التعديل الدستوري الذي كان قد أجرى في عام 1973 أوجد مجلسا للوزراء كمؤسسة منفصلة عن مجلس قيادة الثورة، ألا أن هذا المجلس الجديد يرأسه رئيس الدولة (المادة 60) ويضطلع أساسا بالشئون الداخلية للبلاد (المادة 61) إذا أضفنا إلى كل ذلك مدى محدودية السلطات الممنوحة للجمعية والوطنية والظروف غير المواتية التي صاحبت تأسيسها في يونيو 1980 والتي تضطلع بمسؤولية مناقشة مشروعات القوانين التي يقترحها مجلس قيادة الثورة أو التي يتقدم بها ربع أعضائه على الأقل. وتجدر الإشارة أنه ليس لهذه الجمعية سلطة التعامل مع المسائل العسكرية والأمن القومي. ولو أضفنا أن الجمعية يرأسها أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة لأمكننا أن نخلص إلى أن عملية صنع قرارات السياسة الخارجية في العراق تتم من خلال مجموعة محدودة للغاية من الأشخاص.

وبسبب اختصاصاته الدستورية الواسعة النطاق من ناحية ونمط شخصيته من ناحية ثانية كان يعتبر الرئيس صدام حسين هو صانع القرار الرئيسي في العراق. وتثير هذه الحقيقة ثلاثة أسئلة : ما هو دور حزب البعث ؟ وما هو دور المؤسسات السياسية الأخرى غير مجلس قيادة الثورة والرئاسة ؟ ما هي القيود السياسية والمؤسسية على الرئيس أن كان هناك وجود لها؟

أولا- بالنسبة لحزب البعث، وعلى الرغم من أن كل أعضاء مجلس قيادة الثورة -باستثناء أن نائب الرئيس كردي- يجب أن ينتموا إلى حزب البعث إلا أنه ليس هناك ثمة دلائل تشير إلى أن الحزب يلعب دورا مؤثرا في عملية صنع السياسة الخارجية. فلقد أوضح الرئيس صدام حسين أنه لا يشترط بالضريبة أن يكون هناك تطابق بين مواقف كل من الحزب والدولة. فعلى الرغم من أن كلا من الحزب والدولة يتبنى بطبيعة الحال استراتيجية وأيديولوجية واحدة، إلا أن على الدولة أن تكيف نفسها في إدارة شئون الحياة اليومية وفقا للظروف المتغيرة بينما لا يتطلب الأمر من الحزب ذلك (4).

أما بالنسبة لدور المؤسسات السياسية في عملية صنع قرارات السياسة الخارجية، فمن الواضح أنها كانت تخضع لهيمنة مجلس قيادة الثورة وبصفة خاصة الرئيس الذي يتجسد فيه مصطلح الدولة السابق الإشارة إليه. وعلى ذلك يمكن القول أن نمط صنع قرار السياسة الخارجية في العراق يقترب من نمط القائد والمستشارين. فبينما يكون الرئيس بمثابة مركز صنع القرار تقوم المؤسسات والأفراد المشاركون بدور المستشارين. وبالنسبة للقيود الواردة على حركة الرئيس فهناك القيود المؤسسية والقيود الاجتماعية السياسية. وعلى الرغم من أن الرئيس صدام حسين كان يتمتع بحرية نسبية من القيود المؤسسية إلا أنه كان يخضع لمجموعة من القيود النابعة من البيئة الداخلية والتي تفرضها معطيات الوضع الجغرافي والتركيب السكاني للبلاد(5).

ثانيا- السمات الشخصية للرئيس صدام حسين وصناعة الأزمة في السياسة الخارجية:

دخل تحليل الدوافع الذاتية للقائد السياسي، منذ منتصف الخمسينيات من القرن العشرين مجال السياسة الخارجية. ولعل من أشهر الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة إسكندر جورج وجولييت جورج عن دوافع الرئيس الأمريكي وودرو ويلسون وأثرها على سياسته الخارجية. فيقول جورج وجولييت أن طفولة الرئيس ويلسون تميزت بسيطرة والده عليه سيطرة كاملة، وأن ذلك قد أنتج لديه دافعا نحو الإنجاز والقوة وممارسة القوة "بمفرده وفرض إرادته على غيره وعدم قبول أي سلطة فوق إرادته. وقد أصبح هذا الدافع قاعدة في علاقاته مع الآخرين (6). ويرى فاتيكيوتس أن فقدان جمال عبدالناصر الإحساس بالأمن في طفولته نتيجة وفاة والدته عندما كان طفلا، وسرعة زواج أبيه من أخرى قد أنتج لديه ميلا إلى الشك في الآخرين، ونزعة نحو اتباع سياسات تنطوي على تأكيد الكرامة واحترام الذات، كذلك يرى هيكل أن أنور السادات كان يحمل في أعماقه منذ حياته المبكرة رغبة جامحة في أن يصبح نجما لامعا في الحياة وأن هذه الرغبة الجامحة في النجومية والتي تعود جذورها إلى نشأته الأولى، هي التي تفسر كثيرا من سلوكياته في ميدان السياسة الخارجية(7).

فيما يتعلق بالرئيس صدام حسين سوف نقسم السمات الشخصية إلى نوعين : الأولى السمات التي ترعرعت معه من خلال طفولته ومراهقته وهي السمات والخصائص الأولية. والثانية هي السمات الشخصية المركبة من السمات السابقة وواقع الخبرة السياسية.

1- السمات الشخصية الأولية للرئيس صدام:

عند التطرق إلى النشأة الأولى لصدام، تمثلت المحطة الأولى أنه ولد في سنة 1937 لعائلة سنية فقيرة تعمل بالزراعة بقرية العوجة بالقرب من مدينة تكريت وقد توفى والده حسين المجيد قبل ولادته بعدة أشهر فقامت على تربيته أمه وزوجها إبراهيم حسن" الذي كان يمتهن حرفة الرعي. أكمل صدام دراسته الابتدائية في مدرسة تكريت. المحطة الثانية تمثلت في انتقاله إلى بغداد ودخوله مدرسة الكرخ الثانوية في بغداد وإقامته في تلك الفترة مع خاله خير الله طلفاح الذي تأثر بأفكاره القومية ومشاعره المناهضة للاستعمار البريطاني.. المحطة الثالثة تمثلت في محاولة صدام الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية لكن درجاته الضعيفة حالت دون ذلك.

يتضح مما سبق أن شخصية الرئيس صدام حسين في طفولته وصباه قد لعبت ثلاث محطات رئيسية دورا كبيرا في تكوين شخصيته وملامحها التي تشكلت في فترة الطفولة والشباب، وأن هذه الفترة قد تركت تأثيرا كبيرا على شخصيته، حيث أن الكثير من سياساته الخارجية وحتى الداخلية ارتبط بسمات شخصية مرتبطة بعملية التشكيل في السنوات الأولى.

أولا أن موت والده قبل أن يولد ثم زواج والدته يعتبر الحدث الأهم في تكوين شخصية صدام حسين خصوصا فيما يتعلق بالسمات الشخصية المرتبطة بالقوة أو الشك وعدم التهاون مع الخيانة حتى لو ترتب على رد فعله كوارث كما سوف نوضح فيما بعد. فالطفل عندما يولد دائما ما يستمد قوته من أسرته وبالأخص والده الذي يجد فيه الحماية والأمن، أما أن يولد الطفل ولا يجد والده فإن الشعور بعدم الأمن لديه يصبح صفة ملازمة له، ومن ثم يحاول الطفل أن يبحث عن الأمان بطرقه المتوافرة له في بيئته. وفى حالة صدام حسين لم يقتصر الأمر على ذلك وإنما زواج والدته قد ضاعف من هذا الأثر السلبي وهو عدم الشعور بالأمان، هذا فضلا عن أن ذلك ربما يكون زرع في داخله شعورا منفرا لكل الأفعال التي ترتبط من قريب أو بعيد بالخيانة ، على أساس أنه من الممكن أن ينظر طفل صغير لزواج والدته بعد وفاة والده على أنه خيانة كبرى، خصوصا إذا كان هذا الطفل نشأ في بيئة ريفية قبلية تلعب مثل هذه القيم دورا كبيرا في تشكيل شخصية الفرد الذي ينشأ فيها. وامتعاض الرئيس صدام من الخيانة هذا ظهر في رد فعله سواء على مستوى الداخل بتصفية من يشك أنه يخونه أو على مستوى الخارج والسياسات الخارجية. في حرب الخليج الثانية، على سبيل المثال، كان تفسيره وإدراكه لما تفعله الكويت بمثابة خيانة وفقا لمعتقدات صدام، ولذلك تصرف مع هذه القضية انطلاقا من هذا الإدراك الشخصي، وكان يتصرف مع الدولة الجارة وكأنه يتصرف مع فرد خانه أو استشعر بعدم الأمان تجاهه فتم تصفيته، ولم يوفر له إدراكه الشخصي أن ثمة اختلافا كبيرا بين اتخاذ قرار يتعلق بمصير فرد واتخاذ قرار يتعلق بمصير دولة من حيث النتائج والتداعيات.

أما المحطة الثانية فتكمن في ذهابه إلى بغداد ولقائه مع خاله خير الله طلفاح وتأثره بالأفكار القومية عن طريقه، حيث كان من الممكن أن يتأثر صدام بأفكار أخرى، لأنه في مرحلة المراهقة والشباب دائما ما يتطلع الشاب إلى المثل الأعلى والقدوة، وبالنسبة لصدام حسين كان في أمس الحاجة إلى ذلك لكونه فقد والده قبل أن يولد فضلا عن عامل زواج والدته ونشأته هو في بيت زوج والدته، فهذه الظروف المفروضة عليه جعلته يبحث عن قدوة يجد فيها ذاته، وبمجرد أن التقى بخاله المثقف القومي في بغداد ترك هذا الحدث فيه تأثيرا كبيرا خصوصا فيما يتعلق بتشربه الأفكار القومية التي شكلت جانبا مهما من شخصية الرئيس صدام حسين.

أما المحطة الأخيرة فهي المتعلقة برغبته في الدخول في أكاديمي بغداد العسكرية، ولكن درجاته في الثانوية العامة لم تؤهله للالتحاق بها، وهو الأمر الذي شكل ما يشبه الصدمة لشاب كان يبحث عن القوة التي حالت ظروف نشاطه عن افتقادها لخروجه إلى الحياة مفتقدا إليها في شخص الأب الذي توفى قبل أن يخرج هو إلى الحياة بطبيعة الحال، ومن ثم كانت رغبته في الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية نوعا من التعويض عن هذا النقص الذي لازمه منذ بداية حياته ويمكن تلمس تأثير هذا العامل في حياته فيما بعد في اهتمامه الشديد بالجيش وتسليحه وارتدائه دائما الزي العسكري، هذا فضلا على أنه يفسر لماذا ظل الرئيس صدام حسين باحثا عن القوة ولكن قدراته ومؤهلاته لم تكن تسعفه، لذلك انتهج سبلا وطرقا غير مشروعة في تحصيل القوة سواء في الداخل (الكيفية التي تدرج فيها في السياسة حتى وصل إلى رئاسة الدولة العراقية) أو حتى على مستوى الخارج وصياغة السياسة الخارجية فهو دائما وفقا لهذا المتغير كان يعتمد على تحقيق القوة في هذا المجال وفقا لإدراكه وتصوراته لقدراته سواء في علاقاته مع الدول العربية أو الدول الأجنبية. ألا أن الملمح المهم هنا هو المتعلق بالحروب التي دخلها الرئيس صدام حسين والتي لا تخرج أسبابها عن العوامل السابق الإشارة إليها.

ولهذا لم يكن مستغربا أن يتم عسكرة المجتمع العراقي في الفترة التي ارتبط بها الرئيس العراقي بالحكم، ففي عام 1972 كان الجيش العراقي يشكل 1% من عدد السكان البالغ عددهم 10 ملايين نسمة، وفى وعام 1982 زادت هذه النسبة وبلغت 2.4% من السكان البالغ عددهم 14 مليون نسمة، وفى عام 1984 كانت النسبة 4.2% من نفس النسبة. أما في عام 1988 وهو نهاية الحرب مع إيران فقد كانت النسبة 5.5% من عدد السكان البالغ عددهم 18 مليونا من البشر. وهذه النسبة من العسكرة يتبعها بالطبع أجهزة ومؤسسات ومدنيون يعملون لحساب المؤسسة العسكرية. أما بالنسبة لأجهزة

الأمن الأخرى (شرطة، مخابرات، أمن داخلي ونحو ذلك) فقد صدر تقرير عن حقوق الإنسان في عام 1990 يقول إن حوالي 25% من سكان العراق يعملون لحساب أجهزة الأمن المختلفة أي ما يقارب من 4.5 مليون من السكان البالغ عددهم 18 مليونا. فإذا أضفنا هؤلاء إلى عدد الجيش كان الناتج حوالي 5.5 مليون من البشر أي ما يعادل 30% من السكان، دون الحديث عن الأجهزة المدنية الأخرى التي تعمل لحساب هذه النسبة (8). وعملية هذه العسكرة للمجتمع عسكريا وأمنيا وغير المبررة بطبيعة الحال كانت في الأساس مرتبطة إلى حد ما بالعامل السابق الإشارة إليه الكامن في شخصيته من عقدة نقص تجاه كل ما هو عسكري نتيجة فشله في الالتحاق بمدرسة بغداد العسكرية في أيام مراهقته. وعملية العسكرة هذه للمجتمع شكلت ثقلا بطبيعة الحال وضغطا على مخرجات السياسة الخارجية وتعرضها لأن تكون في الكثير من المواقف صانعة للازمة وخصوصا إذا كانت صناعتها مرتبطة بالقائد السياسي وإدراكه وتفسيراته للمتغيرات الخارجية.. فنلاحظ أنه عندما قامت الثورة الإيرانية عام 1979 تغلبت العوامل الشخصية على العوامل الموضعية لتفسر له سلوك جيرانه من الدول وبالأخص خاصية الشعور بعدم الأمان التي باتت لصيقه معه منذ الصغر وخوفه من المد الثوري الإيراني على العراق والتي يشكل الشيعة نسبة كبيرة من سكانها، فخوضه لهذه الحرب لا يخرج في تفسير جزء من أسبابها عن هذا المتغير، هذا فضلا عن مساعدة الظروف الخارجية له ودعم الولايات المتحدة والكثير من الدول العربية له نتيجة الخوف من المد الثوري الإيراني على الدول العربية الأمر الذي قوى من تصوراته وإدراكه للعدو بناء على هذا المحدد الشخصي.

نفس الأمر ينطبق على حرب الخليج الثانية من توظيف إدراكا الشخص لقدراته لتحقيق القوة والتي قد تكون ناقصة، هذا فضلا عن العامل الذي ترعرع معه منذ الصغر وهو بغضه للخيانة وتفسيره لبعض الممارسات الكويتية على أنها خيانة ومن ثم اتبع نهج الانتقام بنفس الأسلوب الذي يتبعه مع خصومه الأفراد بأن قام وحاول اقتلاع دولة من الوجود.

ولكن الذي يهمنا في التحليل الأخير هنا أن الرئيس صدام حسين وفقا للمحددات الشخصية هذه قد صنع أزمة في السياسة الخارجية ليس لدولته فقط وإنما تعدت تداعياتها النطاقين الإقليمي والدولي. ونلاحظ ان الرئيس صدام هو الذي صنع الأزمة وقعا لإدراكه وتصوراته وتصرف في الأزمة وفقا لهذا الإدراك على مدار الستة شهور قبل عملية التحرير في يناير 1991. فالمجتمع الدولي بما فيه الولايات المتحدة كان مدركا مخاطر الدخول في حرب لتحرير الكويت تجاه عدو يتصرف تصرفات غير مسئولة لذلك أعملت الوسائل الدبلوماسية المختلفة كي تثنيه عن عمله وتطالبه بالانسحاب، ألا أن تعاطيه مع هذه المطالب الدبلوماسية أثبتت كما سبق ان أوضح الباحث ضعف إدراك الرئيس صدام حسين للبيئة الدولية المحيطة وهيمنة العوامل الشخصية والنفسية على شخصيته في تفسيره للبيئة السياسية وتفوقها على العوامل الموضوعية. فهو إزاء أزمة الخليج الثانية تصرف معها من منطلق أنها أزمة داخلية ولا شأن للعالم بها وتسميته في ذلك للكويت بالمحافظة 19 وهو ما يؤكد على أن قدرات الرئيس صدام حسين اعتمدت في استيعاب المعلومات وتحليلها على قصر نظر ربما صاحبه منذ فشله في الالتحاق بأكاديمية بغداد العسكرية لضعف درجاته العلمية والتي حاول فيما بعد أن يستعيض عنها بأدوات أخرى مثل القوة والهيمنة والسيطرة وعدم قبول -أو السماع- لرؤى أخرى من معارضيه أو مستشاريه توضح له البيئة الموضوعية، وتجسد ذلك بصورة كبيرة في حرب الخليج الثانية ورفضه للنصائح والحلول الوسط التي تقدمت بها الكثير من الدول وعلى رأسها الدول العربية.

2- السمات الشخصية المركبة لصدام حسين:

قد يبدو التعرض للسمات الشخصية التي تكونت نتيجة الخبرة والحياة السياسية تكرارا للجزء السابق شرحه، وهي بطبيعة الحال امتداد له مع الاختلاف في أنه إذا كانت السمات الأولية بقيت مؤثرة وبشكل كبير على الرئيس صدام حسين إلا أن تفاعلها مع متغيرات جديدة نتيجة ممارسة السياسة ساعد في إخراج جملة من السمات الشخصية المكملة والتي بناء عليها تمكن من تفسير قراراته في حرب الخليج الثانية.

وإذا أردنا تحليل شخصية صدام حسين متخذ القرار الأوحد في العراق، نجد أن هناك شبه إجماع من المصادر المتاحة على أن هناك عناصر محددة وواضحة تؤطر هذه الشخصية وسلوكها وهذه العناصر يمكن تلخيصها في الإيمان بالعنف كوسيلة لتحقيق الأهداف، والإعجاب بالزعامة المطلقة، التعصب للرأي الذاتي، والحاجز المعرفة مع العالم.

فالدارس للسيرة الذاتية للحياة السياسية لصدام حسين سيجد أن العنف كان الصفة الرئيسية المميزة لهذه السيرة، سواء تحدثنا عن المرحلة التي كان فيها في المعارضة أو المرحلة التي أصبح فيها في الحكم، أو سواء تحدثنا عن العلاقة مع الرفاق أو المعارضة أو الجيران. ففي مرحلة ما قبل الحكم، وبعيدا عن تلك القصص التي تروى عن الطفولة العنيفة لصدام، نجد أن حادثة محاولة اغتيال عبدالكريم قاسم في شارع الرشيد عام.1960 والتي كان صدام أحد أبطالها مازالت أحد أهم المعالم في حياة صدام والتي كان يفتخر بها هو شخصيا. وقد لا تكون حادثة محاولة الاغتيال مؤشرا كافيا لإيمان صدام بالعنف سبيلا وحيدا لحل المشاكل السياسية لولا الأحداث اللاحقة في سيرته التي أعطت مؤشرات أخرى كافية. فبالعنف وأجهزته استطاع صدام أن يصل إلى قمة هرم السلطة في العراق، وبالعنف استطاع المحافظة عليها. فهو الذي دشن حكمه في عام 1979 بإعدام وجبة من رفاقه في الحزب تحت مبرر المؤامرة السورية ثم اتجه إلى المعارضة في أعقاب الثورة الإيرانية وقام بتصفيتها(9).

أما بالنسبة للإعجاب بالزعامة المطلقة فقد كان صدام حسين معجبا بالزعامة الناصرية وسحرها وسعيه لأن يكون ناصر جديدا في المنطقة العربية، وربما يكون ذلك نابعا من أنه قد جاء إلى القاهرة في عام 1961 وقد انتسب إلى كلية الحقوق في جامعة القاهرة وقت كانت شعبية الرئيس جمال عبد الناصر في ذروتها خصوصا بعد تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي عام 1956. كان من الطبيعي أن يتأثر صدام في شبابه بعبد الناصر ويعجب بهذه الزعامة الطاغية في العالم العربي، هذا فضلا على إعجاب صدام حسين بالزعيم العراقي الإمبراطور البابلي القديم نبوخذ نصر أعظم أباطرة بابل وسعيه لأن يكون زعيما من ذلك النمط. والمعلومات كانت تؤكد على أنه كان يشاهد باستمرار فيلم "العراب " دون كلل أو ملل. هذا بالإضافة إلى تلك الصور والتماثيل التي تملأ العاصمة العراقية وكافة مدن الجمهورية والتي يبدو فيها صدام حسين مادا يديه أو شامخا بأنفه تحيط به رسومات خلفية لدبابات وفرسان وطائرات وصور عسكرية أشورية وبابلية. فكل هذه المؤشرات تعبر في جملتها عن تعطش للزعامة وسحرها على شخصية الساعي إليها، وهو ما مارسه فعلا صدام حسين خاصة في أعقاب نصره على إيران حين أخذ يتصرف على اعتبار أنه الزعيم الأوحد لأمة العرب(10). ومثل هذه السلوكيات بناء على ذلك العامل الشخصي بدأت تترك تأثيراتها على سلوك السياسة الخارجية العراقية بدءا من مؤتمر القمة العربية في بغداد 1990 وحتى بعد غزوه الكويت في أغسطس 1990 وتعاطيه مع الوساطات العربية المختلفة والدولية والنظر إليها لست من منطلق الندية وإنما من منطلق الفوقية وأنه هو الزعيم العربي ويجب أن يطاع وأنه لا يأخذ أوامره من أحد آخر حتى لو كان هذا الآخر رئيسا عربيا وهو هنا يفسر المشورة والنصيحة على أنها أمر وفقا لهذا الإدراك الذي نما معها.

أما بالنسبة لسمة التعصب للرأي الذاتي فكانت سمة طبيعية لصدام حسين ويكفي أن نشير إلى واقعة واحدة فقط من بين حالات كانت تشكل السلوك الطبيعي للرئيس صدام حسين في المجتمع، وهي أنه أثناء الحرب العراقية – الإيرانية وأثناء انعقاد اجتماع القيادة العليا لمناقشة إحدى الخطط الهجومية انتقد أحد الضباط الخطة المقدمة من الرئيس، وعندما انتهى من ذلك كان رد صدام حسين هو أن سحب مسدسه وأطلق النار وأرداه قتيلا في ذلك الاجتماع. هذا مع العلم أن صدام حسين نفسه لم يكن عسكريا محترفا ولم يحصل على تعليم عسكري نظامي، ومع ذلك لايحتمل من ينتقده في هذه الأمور المهنية من المحترفين، فكيف بالأمور العامة (11).

بقي متغير أخر مهم من السمات التي كانت متجسدة في شخصية الرئيس صدام حسين وهو المتمثل في الحاجز المعرفي مع العالم الخارجي الذي يمكن تقسيمه إلى بعدين الأول مرتبط بالادراك، بمعنى أن المعلومات قد تكون موجودة ولكن إدراك

الشخص لها تتدخل فيه المحددات الشخصية أكثر من العوامل الموضوعية، والبعد الثاني يتمثل في أن الحاجز الخارجي هذا قد يكون موجودا لاعتبارات موضوعية كالجهل بالتحدث باللغات الأخرى وعدم القدرة على الثقافة والاطلاع على ما يكتبه الآخرون من تحليلات مختلفة.. والرئيس صدام حسين قد جمع بين هذين البعدين للحاجز الخارجي، فصدام حسين لم يكن يعرف غير لغة واحدة وهي العربية ولم يسافر إلى الغرب إلا مرة واحدة عام 1975 وكل هذه الأمور قد تبدو طبيعية إلا أنه عند النظر إلى الممارسة الواقعية نلحظ كثيرا من المؤشرات التي تؤكد قصر نظر صدام حسين وقلة المعرفة بالعالم وما يحدث فيه من تطورات، فمثلا في أزمة الخليج الثانية تبين أنه لا يعرف الكثير أو حتى القليل عن السياسة والمجتمع في الولايات المتحدة، تلك الدولة التي جعل نفسه مكافحا ومناضلا ضدها. فقد فوجئ مرة أثناء مقابلته لزائر غربي أن أبدى دهشته حين علم أن انتقاد الرئيس الأمريكي لا يعد تعديا على القانون كما هو في العراق يعاقب عليه بالإعدام (12). ومن هنا تبدو نظرته للآخرين هي إسقاط للحالة العراقية على ما عداها.. ونلحظ وضوح ذلك في حرب الخليج الثانية فهو اقتلع دولة من الجذور ولم يفكر لحظة واحدة في النتائج التي سوف تترتب على ذلك أو ربما فكر ولكن وفق إدراكه والعوامل الشخصية والحاجز الخارجي الذي كان يفصله عن العالم سواء بسب سوء الإدراك والتفسير أو حتى بسبب نقص المعلومات أو حجبها عنه إرضاء لشخصيته التسلطية التي لن تقبل إلا مع ما يتوافق مع إدراكها.

ومن هنا يمكن ملاحظة أن الفترة التي استمر فيها غزوه للكويت من أغسطس 1990 وحتى فبراير 1991 بكل ما جرى فيها من مبادرات من رؤساء الدول والدبلوماسيين لحل الأزمة بالانسحاب، وعملية التعبئة لقوات التحالف وإصرارها على تحرير الكويت، كل ذلك لم يغير من موقفها الإدراكي لهذا الواقع بل على العكس مثل هذا الأمر جعله وفقا للمحددات الشخصية الأخرى يشعر بالفعل أنه الزعيم العربي الوحيد الذي يقف في وجه الولايات المتحدة والعالم ومن ثم باتت العوامل الشخصية الأخرى تقوى من عملية الحاجز الإدراكي والمعرفي بالمتغيرات الخارجية وتفسرها بمنطق عكسي يخدم العوامل الشخصية الأخرى.

وفى النهاية نلاحظ أن البيئة الشخصية للرئيس صدام حسين كانت هي المؤثرة في قراراته في مقابل تغييب البيئة الموضوعية ومن ثم فقرار غزو الكويت وعدم التراجع وتفسيره الخاطئ للوساطات الدبلوماسية وتفسيره الإدراكي الخطأ.. كل ذلك قد ترك آثارا سلبية في أن هذه المحددات الشخصية للقيادة كانت صانعة أزمة في السياسة الخارجية على المستويين الإقليمي والدولي في نفس الوقت أنها ضاعفت من الأزمة وخلقت أزمات أخرى نتيجة الإدراك الخاطئ لردود الأفعال الإقليمية والدولية للأزمة الأولى التي صنعها باحتلاله الكويت.. والنتيجة كانت هي حرب الخليج الثانية.. وما تلاها من كوارث تمثلت في الحصار الاقتصادي على العراق لمدة تزيد على الاثني عشر عامل، ثم الاحتلال الأمريكي وسقوط نظام صدام حسين نفسه واحتلال العراق، فضلا عن التأثيرات السلبية الأخرى على النظام الإقليمي العربي الذي فقد دوره منذ عجزه عن إثناء صدام عن التراجع عن احتلال الكويت، والتدهور الذي حدث لهذا النظام الإقليمي في السنوات التالية والتي أظهر فيها شللا تاما تجاه التدخلات الخارجية في المنطقة والتي جاءت كلها نتيجة للازمة التي صنعها الرئيس صدام حسين باحتلاله الكويت في أغسطس 1990.

المراجع:

1-د. محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة 1989، ص 392.

2-- بهجت قرني وعلى الدين هلال، السياسة الخارجية للدول العربية، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة 1994، ص308.

3-د. أحمد يوسف أحمد في السياسة الخارجية للدول العربية. بهجت قرني وعلى الدين هلال تحرير، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة 1994، ص 308.

4-د. أحمد يوسف أحمد في السياسة الخارجية للدول العربية، بهجت قرني وعلى الدين هلال تحرير، مركز البحوث والدراسات السياسية، جامعة القاهرة 1994، ص 315-316..

5- نفس المرجع السابق، ص 317.

6-د. محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مرجع سابق، ص 392-393.

7- نفس المرجع السابق، ص 393.

8-د. تركي الحمد، في الغزو العراقي للكويت.. ، المقدمات الوقائع وردود الفعل، التداعيات "، سلسلة عالم المعرفة العدد 195، الكويت 1995، ص 107-108.

9-نفس المرجع السابق، ص 109-. 11.

10- نفس المرجع السابق، ص 107-108.

11- نفس المرجع السابق، ص 111.

12- نفس المرجع السابق، ص 111-112.